

القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي

سيرته الشخصية والعلمية

(بغداد ٣٦٢هـ / ٩٧٣م)

(القاهرة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م)

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الشارقة

الحمد لله رب العالمين القائل:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر/ ١٠.

والصلاة والسلام على رسول الله، الأسوة، والقُدوة، والمثل الكامل، صاحب السيرة العطرة التي يفوح شذاها لتكون نوراً وضياءً للأجيال، والقائل: (العلماء ورثة الأنبياء)^(١). ورضي الله عن الصحابة أفضل جيل عرفه التاريخ الذين تتعطر بهم المجالس، وتنتشي بذكرهم الأفتدة ليكونوا الصورة الواقعية للمجتمع الإسلامي الفاضل، ورضي الله عن التابعين والعلماء العاملين الذين حملوا مشعل النور جيلاً بعد جيل، وأدوا الأمانة، حتى وصلت رسالة الإسلام إلى الخافقين وإلى مختلف العصور، لتكون في أعناق الجيل الحاضر، فيبلغوها للجيل القادم وهكذا حتى تقوم الساعة.

وبعد :

فإن الاطلاع على حياة العلماء العاملين، وأهل الورع والصلاح، يستنهض الهمم لاقتفاء آثارهم، ويستنزل الرحمة من الله تعالى، قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى "عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة"^(٢).

وإن الأمم الحية تفخر بماضيها وتاريخها، وتنشر الصفحات المشرقة عنها، وتذكر علماءها الذين آثروا حياتها، لتعرف فضلهم ومآثرهم، وتوجه الأجيال للتأسي

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً؛ (انظر: الفتح الكبير ١٩٩/٣، الترغيب والترهيب ١/٩٤).

(٢) انظر: كشف الخفاء ٩١/٢.

بهم، ليكونوا خير خلف لخير سلف ، ويتعرفوا على سيرتهم ومناهجهم ليفخروا بهم أمام التاريخ والعالم. وهذا يبعث على البحث والكتابة عن الأئمة الأعلام، والعلماء العاملين، والفقهاء المجتهدين، والسلف الصالح ، والقادة الزاهدين.

ومن هؤلاء القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي رحمه الله تعالى (٣٦٢هـ - ٤٢٢هـ) أحد أئمة المذهب المالكي، والمجتهدين فيه، الذي ترك البصمات الخالدة في المذهب خاصة، والفقه وأصول الفقه وعلم الخلاف عامة، فنعرض سيرته الشخصية للتعرف عليها، ثم سيرته العلمية لنتلمس أثرها ، وذلك في تمهيد ومبحثين وخاتمة.

ونسأل الله أن ينزل شآبيب الرحمة عليه وعلى العلماء وعلى أمواتنا وأموات المسلمين، ونرجو الله أن ينفع بعلمه، وأن يسير الدعاة على سيرته، لنرفع لهذه الأمة رايتها ونعيد للإسلام رفعة وتطبيقه، بمشيئة الله تعالى، والحمد لله رب العالمين .



عصر القاضي عبد الوهاب

الإنسان ابن بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، ويتكيف مع ظروفها، ويتجاوب مع أصدائها، وكثيراً ما يتأثر الإنسان بالعصر الذي يعيش فيه ، والجو الذي يحيط به ، والأحداث التي تفاجئه، والتيارات التي تعترضه. والقاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله عاش أربعة عقود في القرن الرابع، وعقدين في القرن الخامس ، وكانت هذه الفترة تعجّ بالأحداث الجسام الإيجابية والسلبية من عدة نواح، نعرض صورة مصغرة عنها.

١- الناحية السياسية :

بلغت الدولة الإسلامية ذروتها السياسية والإدارية في القرن الثاني الهجري، ثم شهدت عمليات المدّ والجزر في القرن الثالث فانفصلت بعض الأقطار عن مركز الخلافة في بغداد، ثم تسرب التصدع الحقيقي في القرن الرابع، وحل الضعف والتفتت فيها، واستقلت أكثر الولايات عن بغداد، وتوجهت الجيوش بعضها ضد بعض داخلياً للقتال، كالفاطميين في مصر، والحمدانيين في حلب والموصل، والبويهيين في العراق وفارس، والغزنويين في الأفغان والبنجاب وما وراء النهر، وسيطر بنو بويه على الخليفة ، وصار لهم النفوذ المطلق، وامتد حكمهم من سنة ٣٣٤هـ إلى سنة ٤٤٧هـ . أي طوال حياة القاضي عبد الوهاب، واتصف حكمهم بالشدة والبطش والقسوة واقتطاع الأراضي واقتسام الثروات والأموال، والاعتداء على الأفراد، والتعدي على سلطان الخلفاء، فضعفت موارد الدولة، وانتشر الفساد، واضطربت الأمور، وظهرت الشكاوى، وعمت الفتن ، منها فتنة القرامطة وحركة العيارين الذين مارسوا السطو والنهب والغصب والسرقة، حتى دخل طغرل بك بغداد وقضى على بني بويه وقامت دولة السلاجقة سنة ٤٤٧هـ التي جددت قوة

الإسلام، وأعادت وحدته السياسية مع استمرار الحروب الخارجية المشتعلة بين الدول الإسلامية وبين الروم البيزنطيين وغيرهم في الشرق والغرب^(١).

٢- الناحية الاجتماعية :

كان للناحية السياسية أثرها على الحالة الاجتماعية التي كانت بيئة في كثير من النواحي، فالأمن يكاد أن يكون مفقوداً، والفساد يعيثان في جنبات بغداد وما حولها، وانتشر اللصوص والقتلة، وظهرت الاضطرابات السياسية والدينية والمذهبية وخاصة في نهاية عهد البويهيين، وكان المجتمع يتألف من ثلاث طبقات، طبقة الخاصة من أصحاب الخليفة وذوي قرياه، ورجال الدولة البارزين كالأمرء والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء والعلماء والأدباء، وطبقة العامة من سواد الناس وباقي أفراد الشعب الذين يتركبون من جنسيات مختلفة، وقوميات متعددة وطبقة العبيد والأرقاء، ويضاف إلى ذلك أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

وظهرت بين رجال الحكم والسلطة ومن يلوذ بهم، ويتعلق بأذيالهم النعرات القومية، وامتألت القلوب بينهم حقداً وضغينة وكراهة وتميزاً وانفصالاً وتقاتلاً وتناوباً على السلطة.

ووجد في هذا العصر التناقض بين الترف المادي والبذخ والإسراف عند فئات وطبقات، واليبوس والفقر والمظالم عند فئات أخرى، حتى وصلت إلى صاحبنا القاضي عبد الوهاب، فعضه الفقر بأنياه حتى اضطر أن يرحل عن بغداد للفاقة كما سنرى، كما انتشر في هذا العصر الغناء ومجالس الطرب والموسيقى والعزف في القصور، وتفشت الرذيلة في العراق، وفشا شرب الخمر، وكثرت المواخير والحانات، وانحلت الأخلاق بين الفئات الحاكمة والمستغلة ورجال الجيش^(٢).

(١) انظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير، المجلد التاسع، البداية والنهاية، ابن كثير ج ١٢، تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن ج ٤، ٣، ٢، تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخصري، الجزء ٣، تاريخ الخلافة العباسية، للدكتور يوسف العش.

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية ١٣/١، ظهر الإسلام ٩٠/١ وما بعدها، ضحى الإسلام ١٧/١ وما بعدها، رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن الندوي ص ٦٦ وما بعدها.

٣- الناحية العلمية والثقافية والحضارية :

كانت هذه الناحية معاكسة تماماً للنواحي السياسية والاجتماعية ويعتبر القرن الرابع الهجري والخامس اللذان عاش فيهما القاضي عبد الوهاب من أزهى العصور الإسلامية فكرياً وثقافياً وحضارياً، وفي مجال الفقه وأصول الفقه وسائر العلوم الشرعية والأدبية والعلمية والإنسانية، حتى سميت هذه الفترة بالعصر الذهبي بالنسبة للثقافة والعلوم الإسلامية، واستمر العلماء يجوبون البلاد، ويكشفون المجاهيل، ويتزودون بالمعارف، ويقدمون البحوث، ويحققون النتائج، ويقطفون الثمار اليبانة، ويقدمون للإنسانية قطوفاً دانية شهية في جميع مجالات الحضارة والثقافة والعلم، وفي مجال الترجمة ونقل الثقافات والعلوم عن الأمم الأخرى.

فالفقه الإسلامي - مثلاً - بلغ مرحلة النضوج الكامل، واستقرت المذاهب الفقهية، وظهرت المدونات في كل مذهب، مع التأصيل الفقهي، وتقعيد القواعد، وكان الاجتهاد على أشده، واكتمل علم أصول الفقه، ونشط علم الخلاف (الفقه المقارن) وكان في أسمى صوره، بعرض الآراء والأدلة والبراهين والمناقشة والتأصيل والتخريج والترجيح^(١) وعجت المدن الإسلامية في مختلف الأقطار بكبار الفقهاء والعلماء والمجتهدين والمفسرين واللغويين والمترجمين وعباقره الإسلام ومفكره وفلاسفته، وكانت بغداد أعظم مركز ثقافي في العالم في ذلك التاريخ، وبلغت الترجمة أوجها، ونقلت الثقافات القديمة إلى اللغة العربية والبلاد الإسلامية، وتقدمت مختلف العلوم، ووصل الأدب إلى القمة، وانتشرت النوادي الأدبية، ومجالس الشعر العامة والخاصة وبُنيت المدارس، وظهر النوايا في كل فن، ومن ذلك على سبيل الخصوص في المذهب المالكي القاضي أبو بكر الأبهري، والقاضي

(١) سمي الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم علي هذه المرحلة في المذهب المالكي بدور التطور، وذلك من بداية القرن الرابع الهجري . وفيه مراحل التفريع والتطبيق والترجيح، ويسم بظهور نوايا المالكية الذين فرعوا وطبقوا ومن ثم رجحوا وشهروا ، وتنتهي هذه المرحلة بنهاية القرن السادس الهجري (اصطلاح المذهب، له ص ٣٤ ، ١٨١) وانظر: المعونة، مقدمة التحقيق للدكتور عبد الحق حميش ٨/١ وما بعدها، ٢٠.

أبو بكر الباقلاني، وأبو الوليد الباجي، والقاضي عبد الوهاب المالكي، وابن أبي زيد وغيرهم.

وكانت المنافسة العلمية شديدة، واشتد أوارها مع المنافسة السياسية، فكان الخلفاء والأمراء والملوك والولاة وحكام الولايات يشجعون العلم، ويكرمون العلماء، ويتنافسون في ذلك، ويلجؤون إلى العلم، ويتحصنون به، ويعملون على نشر الثقافة وفتح المدارس لدعم ملكهم وسلطانهم بجميع مقومات الحضارة والاستعانة بالعلوم والعلماء لتقوية أسس الملك. وكان تعدد الفرق الدينية والمذاهب الفقهية والكلامية باعثاً لنشاط الحركة العلمية، وتأجيج نارها، فاستخدمت هذه الفرق والمذاهب العلم وسيلة لتحسين نفسها، وتحقيق أغراضها، ونشر مبادئها والانتصار عليها.

وكان إلى جانب المذاهب الفقهية والكلامية فرق أخرى كالمعتزلة، والشيعية والباطنية، والصوفية مما أدى أحياناً إلى فتن مذهبية وعقائدية، ونكبات بين الأتباع. وظهر في هذه الفترة ثروة عظيمة وضخمة في الإنتاج والتأليف والموسوعات التي تركت آثاراً خالدة على مر الأجيال، وبقيت بصماتها حتى اليوم. يقول الدكتور يوسف العش رحمه الله تعالى: "شهد القرن الرابع والقرن الخامس نهضة في أرجاء العالم الإسلامي ارتفعت إلى الذروة، وهي نهضة فكرية وأدبية وفنية، وقد أعطت الحضارة الإسلامية العربية خير ما عندها في ذلك نضجاً ورفعة..، ثم أخذت في التقهقر شيئاً فشيئاً"^(١).



(١) محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ص ١٦٧، وانظر المرجع السابق ١٨٩، ٢٠٠، ٢١٢، ظهر الإسلام ١٥٩/١، تاريخ الأمم الإسلامية ٣/٣، مختصر في تاريخ العرب ص ٢٥٣، ٢٦١، الحضارة الإسلامية ١٢/١ ياقوت الحموي، من أعلام العرب ص ٤٧، رجال الفكر والدعوة ص ١٤٣، ١٤٨، ١٥٠، الحاكم الجشمي، للدكتور عدنان زرزور ص ٣٦، ٤٥، ٤٧، الكامل لابن الأثير ٣٢٠/٨، البداية والنهاية ١٠٢/١٢، ١٥٥.

المبحث الأول

سيرة القاضي عبد الوهاب الشخصية

اسمه ونسبه : عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين، البغدادي، العراقي، المالكي، ويرتفع نسبه إلى أمير العرب مالك بن طوق التغلبي^(١)، ويكنى أبا محمد، واشتهر بلقب القاضي، وهو ينتسب إلى قبيلة تغلب، وهي من القبائل المعروفة.

مولده : ولد القاضي عبد الوهاب ببغداد سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م ، وحدد ذلك ابن خلكان بدقة، ونقله عنه ابن العماد، فقال: " يوم الخميس، السابع من شوال سنة ٣٦٢هـ"^(٢).

أسرته : كان أبوه من أعيان الشهود المعدلين ببغداد، أي شهود التزكية، وهم طائفة من الناس يتميزون بالعدالة مع الفطنة والنقد، ولهم معرفة بأفراد المجتمع، ويستعين بهم القضاة لمعرفة أحوال الشهود لقبولهم في القضاء أو ردّهم، وتوفي الوالد يوم السبت في ٢ رمضان سنة ٣٩١هـ^(٣).

(١) مالك بن طوق التغلبي صاحب الرّحبة التي بناها وعُرفت به وعُرف بها، وتقع على شط الفرات بين الرقة وعانة أو بغداد على أوائل حدود الشام من أرض العراق، وهي في أصلها أرض لم تكن عامرة فأقطعها له هارون الرشيد، وكان من خاصته، فأعمرها وصارت مدينة منسوبة إليه، وكان شاعراً، وله مكانة كبيرة، انظر: مرصد الاطلاع ٦٠٨/٢، وفيات الأعيان ٣٨٩/٢، الإتحاف ٩٨/١.

(٢) وفيات الأعيان ٤٨٩/٢، شذرات الذهب ٢٢٣/٣، وانظر: تاريخ بغداد ٣١/١١، تبیین کذب المفتری ص ٢٥٠، فوات الوفيات ٤٤/٢، البداية والنهاية ٣٢/١٢، حسن المحاضرة ٣١/١، سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٧، ترتيب المدارك ٢٢٠/٧، الديباج المذهب ص ١٥٩، شجرة النور الزكية ص ١٠٣، الفتح المبين ٢٣٠/١، الأعلام ٣٣٥/٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٣) وفيات الأعيان ٣٨٩/٢، شذرات الذهب ٢٢٥/٣، الإتحاف ١٠/١.

وكان أخوه محمد بن علي، أبو الحسن، أديباً فاضلاً، من الشعراء المذكورين،
ولّى كتابة الإنشاء لجلال الدولة، ثم نفذه رسولاً له ، ولد سنة ٣٧٢هـ ، ومات
بواسط سنة ٤٣٧هـ ، وكان قد صعد إليها من البصرة، فمات بها^(١).

نشأته : نشأ القاضي عبد الوهاب في بغداد، وهي مدينة العلم والعلماء،
كما نشأ في أسرة علم، ولم يعين علماء التراجم تفصيل نشأته وتربيته وتعلمه، لكن
تدل المصادر على أن معيشته كانت متواضعة ، وأنه لقي الصعوبات المالية في
حياته. ويدل الحال على أنه طلب العلم في مدارس بغداد، وتأثر بجوّها العلمي،
وقصد مشايخها، حتى نبغ وصار عالماً، لأنّه كان مؤهلاً بالذكاء والمواهب الفطرية
التي منحها الله تعالى له ، حتى بلغ شأوه - كما سنرى - قال ابن كثير رحمه الله
تعالى: "وأقام ببغداد دهرًا"^(٢)

رحلته في طلب العلم : لم تصرّح المصادر بشيء عن رحلته في طلب
العلم، هذه الرحلة التي كانت شائعة ومنتشرة في العالم الإسلامي، وكانت ميزة
لصاحبها، وتوفر له المزيج من المعرفة، والصلة بمختلف العلماء، والتفتح وسعة
الاطلاع، حتى قيل: الرحلة نصف العلم، ولعل مكانة بغداد العلمية أغنته عن الرحلة،
لكثرة علمائها، وتنوع المشارب فيها، والنقاء مختلف الفرق والمذاهب والميول بين
درهاتها. ولكن يؤخذ من ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم أنه انتقل لطلب العلم إلى
البصرة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وقد يكون التقى بعلماء البصرة في
بغداد، وعلماء الحرمين في أثناء أداء فريضة الحج^(٣).

شيوخه : أخذ القاضي عبد الوهاب رحمه الله العلم عن علماء كثر، وفي
مختلف العلوم التي نبغ فيها.. كما سنرى - وكان شيوخه من كبار العلماء في

^(١) وفيات الأعيان ٣٨٩/٢، شذرات الذهب ٢٢٥/٣، الديباج المذهب ص ١٦٠، وذكر ابن فرحون

رحمه الله تعالى في "الديباج" أنه توفي سنة ٤٣٠هـ ، وهو خلاف ما ذكره المؤرخون.

^(٢) البداية والنهاية ٣٢/١٢، وانظر المراجع السابقة في اسمه ومولده، المعونة ، مقدمة التحقيق

٢٤/١، الاتحاف ١٠٣/١.

^(٣) انظر : الاتحاف ١٠٤/١.

المعارف الكثيرة المتنوعة، ولم يحصر نفسه في المذهب المالكي فحسب ، بل درس على علماء المذاهب الأخرى ، وعلماء اللغة والأدب والحديث والوعظ والعقيدة والتفسير وأصول الفقه، منهم الحسين بن محمد، أبو عبد الله العسكري (٣٧٥هـ) وعمر بن محمد سن سَنَبَك ، القاضي أبو القاسم البجلي (٣٧٦هـ) وعمر بن أحمد بن عثمان، أبو حفص الواعظ، المشهور بابن شاهين (٣٨٥هـ) ومحمد بن عبد الرحمن المخلص (٣٩٣هـ) وأحمد بن موسى العبدري، ابن الصلت المجير (٤٠٥هـ) والحسن بن أبي بكر البزار الأصولي، المعروف بابن شاذان (٤٢٥هـ) وغيرهم^(١). ولكن أشهر شيوخ القاضي عبد الوهاب الذين صرَّح بتأثره بهم أربعة ، وهم من كبار علماء بغداد المشهورين، ونقدم نبذة مختصرة عن حياتهم، وهم :

١ - أبو بكر الأبهرى: هو محمد بن عبد الله بن صالح بن عمر، أبو بكر الأبهرى، التميمي، القاضي، الفقيه المالكي، المقرئ، الأصولي، الحافظ، ولد بأبهر (بين قزوين وزنجان) سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م وسكن بغداد، وحدث بها، روى عن أبي عروبة الحراني، ومحمد بن الحسن الأشناني، وابن أبي داود، وكثير من البغداديين وسواهم، وتفقه على يديه خلق كثير منهم القاضي عبد الوهاب المالكي الذي أخذ الفقه عنه وحدث عنه وأجازه^(٢). وأمضى أبو بكر الأبهرى ستين سنة يدرس الفقه المالكي في العراق ويفتي وينجب العلماء، وصنّف المصنّفات الكثيرة المهمة في شرح مذهب الإمام مالك والاحتجاج له، والرّد على من خالفه، وانتهت إليه رئاسة

(١) ترتيب المدارك ٦٩١/٢، تبين كذب المفترى ص ٢٥٠، شذرات الذهب ٢٢٣/٣، تاريخ بغداد ١١/

٢٣١ المعونة ، مقدمة التحقيق ٢٥/١، الاتحاف، مقدمة التخریج ١٠٦/١.

(٢) ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أن القاضي عبد الوهاب رأى القاضي الأبهرى ولم يسمع منه، لكن نقل القاضي عياض عن الفقيه أبي الفضل أنه أنكر ذلك، وقال: " غير صحيح ، بل حدث عنه وأجازه" طبقات الفقهاء ص ١٤٣، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، وانظر سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٧، شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

المذهب المالكي في عصره، و له كتاب إجماع أهل المدينة وكتاب الدلائل والعلل، توفي ببغداد سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م^(١).

٢- أبو الحسن ابن القصار: هو علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن، المعروف بابن القصار، الفقيه المالكي، القاضي، تفقه بأبي بكر الأبهري، وأخذ العلم عنه ابن عمرو، وأبو ذر الهروي وجماعته، وتفقه عليه القاضي عبد الوهاب، ولي قضاء بغداد، وله كتاب في مسائل الخلاف (وهو كتاب فقه مقارن) وكتاب عيون الأدلة، وهو كتاب فقه مقارن بأسلوب سهل. قال انشिरآزي رحمه الله " لا أعرف لهم كتاباً في الخلاف أحسن منه" وله كتاب "المقدمة في أصول الفقه" وتوفي سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م، وقيل ٣٩٧هـ^(٢).

٣- ابن الجلاب: هو عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب، وكان من أفقه أصحاب الأبهري، وأحفظهم، وعنه أخذ العلم، وتتلذذ على يديه القاضي عبد الوهاب البغدادي وتفقه عليه، وكذا أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن إسحاق الطالبي البصري. من مؤلفاته كتاب "التفريع" المشهور الذي ينقل عنه المالكية كثيراً^(٣)، وله شرح على المدونة^(٤)، ومسائل الخلاف، توفي سنة ٣٧٨هـ منصرفه من الحج^(٥).

٤- القاضي الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، البصري، سكن بغداد، ودرّس فيها رداً من الزمان، القاضي، الفقيه

(١) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، شذرات الذهب ٨٥/٣، تاريخ بغداد ٤٦١/٥، الديباج ص ٢٥٥، طبقات الفقهاء ص ١٦٧، شجرة النور الزكية ص ٩١، المدرسة العراقية ص ٥٠٦، اصطلاح المذهب ص ٢٣١، الفتح المبين ٢٠٨/١، شذرات الذهب ٨٥/٣، الأعلام ٩٨/٧، مرجع العلوم الإسلامية ص ٥٨٢.

(٢) ترتيب المدارك ٦٠٢/٢، الديباج المذهب ص ١٩٩، شجرة النور ص ٩٢، طبقات الفقهاء ص ١٦٨، تاريخ بغداد ٤١/٢، شذرات الذهب ٢٢٣/٣، حسن المحاضرة ٣١٤/١، اصطلاح المذهب ص ٢٦٠، المدرسة العراقية ص ١٢، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٧.

(٣) حققه الدكتور حسن الدهماني في مجلدين، ونشرته دار الغرب الإسلامي.

(٤) يوجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين برقم ٧٩٩، ونسخة أخرى في الرباط برقم ١٤٤٧.

(٥) شذرات الذهب ٢٢٣/٣، حسن المحاضرة ٣١٤/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، طبقات الفقهاء ص ١٦٨، الديباج ص ١٦٨، اصطلاح المذهب ص ٢٣٤، المدرسة العراقية ص ٧.

المالكي، الأصولي، المتكلم، المحدث المناظر، الملقب بشيخ السّنة، ولسان الأمة، وهو من كبار علماء الكلام على مذهب أهل السّنة، وأهل الحديث، وطريقة الأشعري.

أخذ الأصول على أبي بكر بن مجاهد، والفقه على الشيخ أبي بكر الأبهري، وتلمذ على يديه خلق كثير، كان منهم الأئمة والأعلام، كالقاضي عبد الوهاب البغدادي، وعلي بن محمد الحريري، وأبي عبد الله الأزدي، وأبي طاهر الواعظ، ومن أهل المغرب أبو عمر بن سعدي، وأبو عمران الفاسي، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى عن القاضي عبد الوهاب: "ودرس الفقه والأصول والكلام على القاضي أبي بكر الباقلاني وصحبه" (١).

وكان كثير التصانيف، وجلّ تصانيفه في علم الكلام، ومنها كتاب "الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة" و "شرح أدب الجدل" و كتاب "الأصول الكبير والصغير" في الفقه، وكتاب "إعجاز القرآن" وهو مشهور ومتداول ومطبوع، و "اللمع" و "أمالي إجماع أهل المدينة" و "المقدمات في أصول الديانات" و "التقريب والإرشاد" في أصول الفقه، و "كشف أسرار الباطنية" وهو أحسن كتبه للرد على الفاطميين، و "التمهيد" في أصول الفقه، و "المقنع" في أصول الفقه، و "حقائق الكلام" و "مناقب الأئمة" و "الإتصاف" و "الملل والنحل" و "هداية المسترشدين" و "الاستبصار" و "تمهيد الدلائل" و "البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة".

ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ / ٩٥٠م ، وسكن بغداد، وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ / ١٠٣١ ، وكان ذكياً غاية في الذكاء والفطنة، جيد الاستنباط، سريع الجواب، عظيم الجدل، له حلقة بجامع المنصور، وانتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق، والرئاسة في مذهب الأشاعرة ، وإذا أطلق القاضي في أصول الفقه فهو المقصود (٢).

(١) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٢) ترتيب المدارك ٥٨٥/٢، والديباج ص ٢٦٧، شجرة النور ص ٩٢، وفيات الأعيان ٣٤٠٠، شذرات الذهب ١٦٨/٣، تبیین کذب المفتری ص ٢١٨، البداية النهاية ٣٥٠/١١، تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، النجوم الزاهرة ٢٣٤/٤، الأعلام ٤٦/٧، مرجع العلوم الإسلامية ص ٣٣٩، المدرسة المالكية ص ٦.

أعمال القاضي عبد الوهاب:

اشتغل القاضي عبد الوهاب المالكي بثلاثة أعمال رئيسة، هي:

١- التعليم والتدريس: مارس القاضي عبد الوهاب التدريس والتعليم في بغداد، ويفهم ذلك من ثنايا ترجمته، وتعداد تلامذته الذين كانوا يفدون إليه من جهات متعددة ويقصدونه للأخذ عنه، والتفقه عليه، ورواية الحديث، وسوف نذكر تلامذته في فقرة لاحقة. وهذا العمل هو المهنة الأساسية للعالم بعد أن يُحصّل العلوم، ويجلس للإفادة، ولم يكن التعليم والتدريس مهنة رسمية، وإنما يتولاها العلماء في بيوتهم، وفي المساجد، وفي المدارس الخاصة إن وجدت، وأنشئت المدرسة النظامية الرسمية في بغداد بعد وفاته، وفي عهد السلاجقة^(١).

٢- التأليف: اشتغل القاضي عبد الوهاب بالتأليف والتصنيف في فقه مذهبه، وفي العلوم التي أتقنها وبرز فيها، قال ابن العماد رحمه الله "له كتب كثيرة في كل فن"^(٢)، وقال القاضي عياض رحمه الله: "ألف في المذهب، والخلاف، والأصول تواليف مفيدة"^(٣)، وقال مخلوف رحمه الله: "ألف تأليف كثيرة مفيدة في فنون العلم"^(٤)، وقال الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم علي متعه الله بالعافية: "ونالت مؤلفاته الشهرة عند المالكية المغاربة، بل المشاركة، فهو وإن كان عراقياً في مدرسته المالكية، إلا أن آراءه اتسمت بتبنيها لمبادئ وقواعد الترجيح القيروانية المصرية..، بل لقد ظهر تأثير القاضي عبد الوهاب على المدرسة الأندلسية ممثلة في زعيمها أبي الوليد الباجي وكتابه "المنتقى" الذي تتردد على صفحاته آراء القاضي معزوة إلى كتبه"^(٥).

(١) الإتحاف، مقدمة التخرير ١٣١/١.

(٢) شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٣) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٤) شجرة النور الزكية ص ١٠٤.

(٥) اصطلاح المذهب ص ٢٧١، وذكر أمثلة لذلك في "المنتقى".

وقال الدكتور صلاحين: " يعد القاضي عبد الوهاب أكثر مالكية العراق تصنيفاً في هذا الفن^(١)، وسوف نذكر مصنفاته وكتبه في سيرته العلمية إن شاء الله تعالى.

٣- القضاء: قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى عن شيخه القاضي عبد الوهاب: " وَلَيَّ قَضَاءَ بَادِرَايَا وَبَاكْسَايَا"^(٢) وهما من أعمال العراق، كما نقلت كتب التراجم أن القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى تَوَلَّى القضاء في مناطق أخرى في عدة مدن في العراق وما يتصل بها، وبقي قاضياً مدة طويلة، حتى اشتهر بلقب القاضي، إما لطول فترة توليه هذا المنصب الجليل والمهم والخطير والحساس والمقدس، مع انتقاله من جهة إلى أخرى في أنحاء العراق وفارس ومصر، وإما لإطلاق فقهاء المالكية ذلك عليه في كتبهم، فصار هذا اللقب علماً عليه بالعلبة، فإذا قيل في كتب المالكية قال القاضي، أو ذهب القاضي إلى كذا، فهو المعنى دون سواه، مع كثرة القضاة غيره.

وكان منصب القضاء من أعلى المناصب والرتب، ويحتل المكانة العليا في المجتمع، وكان القضاة المسلمون يختارون من جلة الفقهاء والعلماء، ويؤدون رسالتهم على أسمى وجه، ولا يخافون لومة لائم، ويفرضون احترامهم على الرعاة والرعية، ويشار لهم بالبنان، ويضربون المثل الأعلى في النزاهة والعدالة والتجرد، وهذا ما يضيفي التقدير للقاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى. ولكنه لم يترك كتاباً خاصاً بالقضاء، ولم تفرد سيرته وأفضيته بالبحث والجمع والدراسة، كما لم ينله أحد بسوء أو مأخذ في عمله.

ولما رحل القاضي عبد الوهاب إلى مصر تولى القضاء بها، وبقي قاضياً حتى توفي فيها سنة ٤٢٢ هـ، ولو كان ذلك لمدة قصيرة^(٣).

(١) المدرسة العراقية ص ٧.

(٢) تاريخ بغداد ٣١/١١، وانظر: مختصر تاريخ دمشق ٢٨٤/١٥.

(٣) ترتيب المدارك ٢/ ٦٩٢، حسن المحاضرة ١/ ٣١٤، تاريخ بغداد ٣١/ ١١، الاتحاف، مقدمة التخریج ١/ ١٢٩، وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٧، ٣٨٩، الديباج ص ١٥٩، شجرة النور، ص ١٠٣، تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ٣٢، مرجع العلوم الإسلامية، ص ٤٠٧.

خروجه من العراق:

كانت دار الإسلام واحدة، وإن اختلف الحكم والحكام فيها، وكان الناس عامة، والعلماء خاصة يرحلون من بلد إلى آخر للتجارة والعلم والتكسب، وكان العلماء يتولون المناصب العليا في البلاد التي يرحلون إليها، ويتبوؤن المراكز المناسبة دون غضاضة أو نزعة إقليمية جائرة وباطلة.

وعاش القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى معظم حياته في العراق ورحل إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وعاد إلى عمله فيها، ثم خرج من بغداد في آخر عمره إلى مصر إما بسبب خلاف مذهبي مع بعض العلماء^(١)، وهو احتمال ضعيف، وإما بقصد التكسب وطلب الرزق والمعيشة، وهو الغالب، كما صرحت معظم كتب التراجم، ونطق به القاضي عبد الوهاب نفسه لما لحقه من الفاقة وضيق ذات اليد.

قال ابن بسام رحمه الله " ونبت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها، وكحكم الأيام في محاسن أهلها، فودع ماءها وظلها، وحدث أنه تبعه يوم فصل عنها من أكابر أهلها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة، وأنه قال لهم : لو وجدت بين ظهرائكم رغيقين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية"، وفي ذلك يقول:

وَحَقُّ لَهَا مِنِّي سَلَامٌ مُضَاعَفُ	سَلَامٌ عَلَيَّ بَغْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنُ
وَإِنِّي بِشَطِيٍّ جَانِبِهَا لَعَارِفُ	فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُهَا عَنْ قَلِيٍّ لَهَا
وَلَمْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ فِيهَا تُسَاعَفُ	وَلَكِنهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَسْرَهَا
وَأَخْلَاقُهُ تَنَاضَى بِهِ وَتُخَالَفُ ^(٢)	وَكَاثَتْ كَخَلٍّ كُنْتُ أَهْوَى دَنُوهُ

(١) قيل إن القاضي عبد الوهاب تكلم عن الشافعي فخاف عاقبة ذلك (ترتيب المدارك ٦٩٣/٢) وهذا مستبعد لأن كتبه كثيرة في الفقه المقارن. مع نقل أقوال أئمة المذاهب، ومنها أقوال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

(٢) شذرات الذهب ٢٢٤/٣، الديباج ص ١٥٩، ترتيب المدارك ٦٩٣/٢.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وخرج من بغداد لضيق حاله، فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهباً فتمول جداً" (١) وقال الكتبي: "وخرج إلى مصر في آخر عمره لإملاق به" (٢)، وقال السيوطي: "وتحول إلى مصر لضيق حاله ببغداد" (٣).

وودّع القاضي عبد الوهاب بغداد متحسراً على فراقها، وأنشد قصيدة في غرامها، وأنه كان مضطراً للغياب عنها، وكان يحنُّ إليها باستمرار، ويبثها عواطفه وأشعاره ويتشوق للعودة إليها.

ومرَّ في طريقه على بلاد الشام (٤) وزار معرة النعمان، ولقي الشاعر الفيلسوف أبا العلاء المعري، فاستضافه، وتبادل معه الشعر، ومدحه أبو العلاء على علمه وشعره.

ووصل القاضي عبد الوهاب مصر، ورحب به أهلها، وأغدقوا عليه العطايا، وتزوج بها، وتولى القضاء فيها، واحتل ما يستحق من مكانة مرموقة بين أهلها. وقال ابن العماد رحمه الله تعالى " تم توجه إلى مصر فحمل لواءها، وملاً أرضها وسماءها، وأمتع ساداتها وكبراءها، وتناهت إليه الغرائب، واتثالت في يديه الرغائب، فمات لأول ما وصلها" (٥).

وكان المالكية في مصر خاصة، والمغرب عامة يعرفون قدر القاضي عبد الوهاب ومكانته، لأنه أقام جسراً متيناً بين المشاركة والمغاربة في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني التي تحتل المكانة الأولى في المغرب بعد الموطأ والمدونة - كما

(١) البداية والنهاية ٣٢/١٢، والمقصود بالمغاربة أهل حي المغاربة من المالكية في جوار الأزهر بالقاهرة.

(٢) فوات الوفيات ٤٥/٢.

(٣) حسن المحاضرة ٣١٤/١، ومن شعر القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ذلك :

بغداد دار لأهل المال طيبة وللصعاليك دار الضنك والضيق
أصبحت فيها مضاعاً بين أظهرهم كأنني مصحف في بيت زنديق

الدبياج ص ١٦٠، البداية والنهاية ٣٢/١٢، الأعلام ٣٣٥/٤.

(٤) قال ابن عساكر : " قدم الشيخ.. دمشق في شوال سنة ٤١٩هـ ، وخرج في جمادى الأولى سنة

عشرين و أربع مائة ، وتوفي بمصر مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٥) شذرات الذهب ٢٢٤/٣، وانظر: الدبياج ص ١٥٩.

سنرى - وانتقلت كتب القاضي عبد الوهاب وآراؤه ، وعلمه إلى مصر والمغرب ،
ولذلك عظموه وأكرموه غاية الإكرام^(١).

تلامذته : جمع القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين التأليف
والقضاء والتدريس ، وكان غالب تدريسه وتخصصه في الفقه وعلم الخلاف (الفقه
المقارن) وأصول الفقه ، وحدث قليلاً ، وأخذ كثير من الطلاب العلم عنه^(٢).
ونذكر أربعة من أشهر تلامذته الذين أخذوا عنه ، وحدثوا ، ثم نبغوا في
العلم في الفقه والحديث ، فكانوا أعلاماً ، وهم :

١ - الخطيب البغدادي : وهو أحمد بن علي بن ثابت ، أبو بكر ، المعروف
بالخطيب البغدادي ، أحد حفاظ الحديث ، المؤرخ ، الفقيه الشافعي ، ولد في غزوة ،
منتصف الطريق بين الكوفة ومكة سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م ونشأ في بغداد ، وتوفي
بها سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٢ م ، وطلب الحديث من الصغر ، وصرح بالأخذ عن
القاضي عبد الوهاب ووثقه وقال : " حدث بشيء يسير ، كتبت عنه ، وكان ثقة "
وروي عنه حديثاً بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : " الأبعد الأبعد إلى المسجد أعظم أجراً "^(٣) ، ورحل إلى الأقاليم لطلب
الحديث ، وحج وسكن الشام إحدى عشرة سنة ، ثم عاد إلى بغداد ، وكان فقيهاً ،
وغلب عليه الحديث والتاريخ ، وحدث ، وأخذ بالتأليف ، وبلغت مصنفاته ستين كتاباً ،
وفي مرض الموت وقف كتبه ، وفرق جميع ماله في وجوه الخير ، ولم يكن له عقب .
من كتبه " تاريخ بغداد " وهو أفضلها ، و" الكفاية في علم الرواية " في مصطلح
الحديث و" الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " ، عشر مجلدات ، و" تقييد العلم " ،

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٠ ، تبين كذب المفترى ص ٢٥٠ ، طبقات الفقهاء ص ١١٨ ، شذرات الذهب

٢٢٤/٣ ، وفيات الأعيان ٢/٣٨٨ ، ترتيب المدارك ٢/٦٩٢ ، تاريخ بغداد ١١/٣١ ، فوات الوفيات ٢/٤٥

البدائية والنهاية ١٢/٣٢ ، حسن المحاضرة ١/٣١٤ ، تاريخ قضاة الأندلس ص ٤١ ، الديباج ص ١٥٩ ،

المعونة مقدمة التحقيق ١/٢٨ ، الإتحاف ، مقدمة التخرين ١/١٣٥ ،

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ٤١ .

(٣) تاريخ بغداد ١١/٣١-٣٢ .

و"شرف أصحاب الحديث"، و"الفقيه والمتفقه"، و"الرحلة في طلب الحديث"، وغيرها^(١).

٢- الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف، الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الفيروز آبادي، الفقيه الشافعي، الأصولي، النظار، ولد بفيروز آباد بفارس سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، ونشأ بها، ثم دخل شيراز وتفقه بها ونسب إليها، ثم رحل إلى البصرة، ودخل بغداد سنة ٤١٥هـ، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري والقاضي عبد الوهاب المالكي وقال عنه: "أدركته وسمعت كلامه ينظر، وله كتب كثيرة في الفقه" وكان يضرب المثل بالشيرازي في الفصاحة والمناظرة.

وصفه النووي رحمه الله تعالى بعبارات رائعة وصفات سامية، وكانت الطلبة ترحل إليه من المشرق والمغرب، وتحمل إليه الفتاوى، واشتهر بقوة الحجة في المناظرة، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد، فدرس فيها، وعاش فقيراً صابراً ينظم الشعر، مات ببغداد سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وصلى عليه الخليفة المقتدي العباسي، وإذا أطلق الشيخ في كتب الشافعية فهو المراد، وكان شيخ الشافعية ببغداد. ألّف التصانيف النافعة المفيدة المشهورة، منها التنبيه والمهذب في الفقه، واللمع، والتبصرة، وشرح اللمع في أصول الفقه، والملخص، والمعونة في الجدل والنكت في الخلاف، وطبقات الفقهاء وغيرها^(٢).

(١) تذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣، طبقات الشافعية الكبرى ٢٩/٤، تبیین کذب المفتری ص ٢٦٨، وفیات الأعیان ٧٦/١، البداية والنهاية ١٠١/١٢، شذرات الذهب ٣١١/٣، طبقات الحفاظ ص ٤٣٤، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٠١/١، الأعلام ١٦٦/١، مرجع العلوم الإسلامية ص ٢٦٢، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨، تاريخ بغداد ٣١/١١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة ٣٨/١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢١٥/٤، وفیات الأعیان ٩/١، تهذيب الأسماء ١٧٢/٢، تبیین کذب المفتری ص ٢٧٦، البداية والنهاية ١٢٤/١٢، شذرات الذهب ٣٤٩/٣، الأعلام ٤٤/١، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٨، المعونة ٣٩/١، المهذب، مقدمة التحقيق للباحث ١/ ١١ وما بعدها.

٣- أبو الفضل الدمشقي: مسلم بن علي بن عبد الله، أبو الفضل الدمشقي، كان ملازماً لشيوخه القاضي عبد الوهاب في الصحة والخدمة ، حتى عُرف بغلام عبد الوهاب. كان فقيهاً مالكياً مشهوراً، له كتاب الفروق، وهو معروف، ودرس ، وأخذ عنه الناس^(١).

٤- ابن عمروس: محمد بن عبد الله بن أحمد بن عمروس ولد ببغداد سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م شيخ المالكية، وإليه انتهت الفتوى ببغداد، وكان من كبار المقرئين، وفقهياً وأصولياً، وله تلاميذ كثر. كان من حفاظ القرآن، وكان ثقة ديباً مشهوراً، أخذ عن القاضي عبد الوهاب، وأخذ عنه أبو الوليد الباجي، والخطيب البغدادي، وله تعليق في الخلاف، كبير ومشهور، ومقدمة في أصول الفقه، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م^(٢).

ومن تلاميذ القاضي عبد الوهاب شيخ المالكية عبد الحق بن هارون، أبو محمد السهمي الصقلي (٤٦٦هـ) لقي القاضي في الحج وأخذ عنه. ومنهم أحمد بن منصور بن محمد بن قبيس، الغساني، الدمشقي، يروي كثيراً عن القاضي عبد الوهاب^(٣).

صفاته وفضائله: اتصف القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بصفات حميدة، وفضائل جمة، تتناسب مع علمه، ويتجمل بها العلماء والفقهاء والمحدثون، أهمها الورع عن محارم الله، والتقوى بال التزام شرعة الله، واتصف بالكرم والسخاء فكان كريماً جواداً منفقاً لماله على طلاب العلم،^(٤) وكان صبوراً على الحال التي يعانيتها،

(١) ترتيب المدارك ٢/٧٦٥، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٣٩، ولم تذكر المراجع تاريخ وفاته.

(٢) ترتيب المدارك ٧٦٥/٢، شجرة النور ص ١٠٥، طبقات الفقهاء ص ١٦٩، تبیین کذب المفتری ص ٢٦٤، تاریخ بغداد ٣٣٩/٢، شذرات الذهب ٢٩٠/٣، مرجع العلوم الإسلامية، ص ٤٠٨، ١/٤٣، الاتحاف ١٠٠/١، الدبیاج المذهب ص ١٦٩.

(٣) الديباج ص ١٦٩، شجرة النور ص ١١٦، سير أعلام النبلاء ٣٠١/١٨، ٣٤٧، ترتيب المدارك ٢/ ٧٦٥، المعونة، مقدمة التحقيق ١١٠/١.

(٤) قال القاضي عبد الوهاب عن فراق بغداد: "ولقد ترك لي أبي جملة دنائير ودرهم أنفقتها كلها على صعلانيك من كان ينهض بالطلب عندي" ترتيب المدارك ٢/٢٩٣.

ومتعقفاً عما في أيدي الناس، وكان شجاعاً في مواجهة الحكام في التزام الشرع وإقامة العدل ومنع المظالم شأنه في ذلك شأن قضاة العدل لا يخافون في الله لومة لائم، وكان عابداً زاهداً متأدباً ثقة، وكان كثير الحفظ، حسن النظر، جيد العبارة، أديباً^(١).

وفاته : لم يعمر القاضي عبد الوهاب عمره المادي طويلاً، ولكن عمره العلمي والأدبي والمعنوي والفكري كان جليلاً وطويلاً، فغاب جسمه وبقيت روحه الطاهرة وعلمه النافع وذكره العطرة، ونفسه الطيب حتى اليوم والى أن تقوم الساعة، وتتردد أقواله وآراؤه في الكتب ومجالس العلم، وينقل العلماء جيلاً عن جيل من كتبه ومعارفه ما يكون أثراً طيباً يستحق به الرحمة والثناء " ونكتب ما قدموا وآثارهم" الكهف / ١٢ ، قال الشاعر:

دقات قلب المرء قاتلة له إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

أقام القاضي عبد الوهاب بمصر مدة قصيرة، ثم جاءه ملك الموت، وتوفاه الله ليلة الاثنين الرابعة عشرة من صفر سنة ٤٢٢هـ ، وقيل في شعبان من السنة المذكورة^(٢).

قال ابن خلكان رحمه الله : " تم توجهه إلى مصر فحمل لواءها، وملا أرضها وسماءها واستتبع ساداتها وكبراءها، وتناهت إليه الغرائب، وانثالت في يده الرغائب، فمات لأول ما وصلها من أكلة اشتهاها فأكلها ، قال وهو يتقلب، ونفسه تتصعد وتتصوب: لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا"^(٣). وكان سنه ستين سنة ، وقيل

(١) انظر : الاحتاف، مقدمة التخريج ١/١٣٢، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٣٢، ومراجع ترجمته.

(٢) قال الخطيب البغدادي: مات أبو نصر بمصر في شعبان من سنة ٤٢٢هـ " تاريخ بغداد ١١/٣٢، ونقل بعض العلماء هذا القول، ويرجح ضعفه، أو وجود التباس وخطأ فيه، لأنه قال: " مات أبو نصر" والقاضي عبد الوهاب أبو محمد، وأكثر المصادر على تحديد الوفاة في صفر والله أعلم.

(٣) وفيات الأعيان ٢/٣٨٨.

٧٣ سنة وهو قول ضعيف. ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره قريب من قبر الإمام الشافعي وابن القاسم وأشهب رحم الله الجميع^(١).
 قال النباهي رحمه الله تعالى عنه : " ولما وصل مصر، وبنيته المغرب، وُصفت له بلاده ، فزهد فيها، وقد كان خاطب فقهاء القيروان، ورام القدوم على الأندلس، وكتب أيضاً في ذلك إلى مجاهد الموفق صاحب دانية^(٢) وعاجلته منيته، وتوفي بمصر في شعبان سنة ٤٢٢ هـ، وقد جاز المعترك، وحكي أنه لما أحسَّ الموت، وهو بمصر، إثر ما اتسعت حاله، قال: لا إله إلا الله، لما عشنا متنا"^(٣).



-
- (١) تاريخ بغداد ٣٢/١١، وفيات الأعيان ٣٨٨/٢، ترتيب المدارك ٦٩٥/٢، الديباج ص ١٦٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٤/١٥، شذرات الذهب ٢٢٤/٣، حسن المحاضرة ٣١٤/١، فوات الوفيات ٣٨٨/١، سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٧، تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٢، تبیین کذب المفتري ص ٢٥٠، شجرة النور ص ١٠٤، الأعلام ٣٣٥/٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٧.
- (٢) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً (مرصد الاطلاع ٥١٠/٢).
- (٣) تاريخ قضاة الأندلس، وهو المرقبة العليا ص ٤٢، وانظر : ترتيب المدارك ٦٩٤/٢، ٦٩٥.

المبحث الثاني

سيرة القاضي عبد الوهاب العلمية

كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى من كبار العلماء المشهورين، والمشهود لهم بالفضل والعلم، ممن يشار إليهم بالبنان، وترك بصماته الظاهرة في المذهب المالكي خاصة، والفقه عامة، وفي مختلف العلوم بشكل أعم، وذلك عن طريق التأليف والتصنيف، فكانت كتبه مرجعاً لغيره، ومصدراً للعلماء والفقهاء والباحثين والمصنفين.

قال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: " هو الإمام العلامة، شيخ المالكية" (١). وقال عنه ابن خلكان رحمه الله تعالى: "كان فقيهاً أديباً شاعراً، صنف في مذهبه" (٢).

وقال عنه ابن فرحون رحمه الله تعالى: " أحد أئمة المذهب .. ، وكان حسن النظر، جيد العبارة، نظّاراً، ناصراً للمذهب، ثقة، حجة، نسيج وحده، وفريد عصره" ثم قال: " وألف في المذهب والخلاف والأصول تأليف كثيرة مفيدة" (٣).

وقال الكتبي رحمه الله تعالى: " وكان شيخ المالكية في عصره، وعالمهم" (٤). وقال الشيرازي رحمه الله تعالى: " وكان فقيهاً متأديباً شاعراً، وله كتب كثيرة في كل فن من الفقه" (٥).

وقال السيوطي رحمه الله تعالى: " القاضي عبد الوهاب.. أحد الأعلام، وأحد أئمة المالكية المجتهدين في المذهب له أقوال وترجيحات" (٦).

(١) سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٣) الديباج المذهب ص ١٥٩.

(٤) فوات الوفيات ٤٤/٢.

(٥) طبقات الفقهاء ص ١٦٨، وانظر: ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، تبين كذب المفتري ص ٢٥٠.

(٦) حسن المحاضرة ٣١٤/١.

وجمع القاضي عبد الوهاب بين أهم علوم الشريعة، وهي الفقه، و أصول الفقه، وعلم الخلاف (الفقه المقارن) والحديث، فتنوعت معارفه، فهو فقيه، وأصولي، ومحدث، وأديب، وشاعر، وهذا يتفق مع تنوع الثقافة والمعرفة في عصره، وأخذ عن كثير من شيوخ الحديث أكثر من شيوخه في الفقه والأصول، لكن تأثره بشيوخ الفقه والأصول كان أكثر تبعاً لميله ورغبته واستعداده للفقه والأصول، وظهر ذلك في مؤلفاته. وكان القاضي عبد الوهاب أحد أركان المدرسة العراقية للمذهب المالكي، وأحد دعائمها، ولكنه كان آخر من يمثل هذه المدرسة، وآخر العلماء الكبار من المذهب المالكي في العراق^(١)، وكان لهذه المدرسة أثر كبير في الفقه المالكي، وعلى سائر مدارس المالكية في الغرب الإسلامي، مما يدعونا للتعرض لها بإيجاز.

القاضي عبد الوهاب والمدرسة المالكية في العراق :

كان القاضي عبد الوهاب من أعلام المدرسة المالكية في العراق التي بلغت عصرها الذهبي في القرنين الثالث والرابع، ثم بدأ نجمها يأفل مع بدايات القرن الخامس عندما سيطر الشافعية بزعامة أبي حامد الاسفراييني (٣٤٤هـ - ٤٠٦هـ) على العراق. وتمكنت من إزاحة أتباع المذهب المالكي من القضاء والمناصب العامة، ولعل ذلك أحد الأسباب التي اضطرت القاضي عبد الوهاب إلى الهجرة إلى مصر، ولم يعد للمالكية وجود في العراق، إلا بظهور أحد العلماء بين الفينة والأخرى. لكن امتازت المدرسة العراقية في المذهب المالكي بميزات عن غيرها من مدارس المالكية، وانتقلت آثارها في سائر المدارس، وفرضت وجودها واحترامها على علماء المالكية في مصر والقيروان والمغرب والأندلس، من خلال كتبها وعلمائها، ومنهم القاضي عبد الوهاب، وأهم هذه الميزات هي^(٢):

(١) المعونة، مقدمة التحقيق ٥٩/١.

(٢) المدرسة العراقية ص ٥ و ٧ وما بعدها.

١- سعة الاطلاع على المذاهب الأخرى: بسبب البيئة العلمية في العراق، وتجلت بكثرة المصنفات التي ألفها علماء المالكية في الخلاف والرد على بعض المخالفين من المذاهب الأخرى، وللنشاط العلمي والجدل والمناظرات بين علماء المذاهب، وكان القاضي عبد الوهاب أحد فرسان هذا الميدان.

٢- التصنيف في الخلافات: وهذه الميزة فرع عن السابقة، وذلك لكثرة المذاهب الفقهية في العراق، ومعاصرة مالكية العراق للحنفية والشافعية، وكان للقاضي عبد الوهاب القدر المعلى في التصنيف في الخلافات، كما سنرى، كالممهد، والنصرة، والإشراق، والمعونة، والرد على المزني.

٣- التصنيف في أصول الفقه: فقد سبق علماء المالكية في العراق غيرهم من المالكية في التصنيف في علم أصول الفقه، وذلك لما أحدثه أول كتاب في ذلك وهو " الرسالة للإمام الشافعي" من إثارة الهمم في الدراسة والتصنيف لأصول كل مذهب من المذاهب الفقهية وساهم القاضي عبد الوهاب في ذلك في عدة كتب أصولية كما سنرى، كالإفادة وغيرها.

٤- التصنيف في القواعد الفقهية والفروق: وهو العلم الذي بدأ ظهوره في هذا العصر، وتفرع عن علم الفقه، لجمع الأحكام الفقهية المتشابهة، ووضعها في مبادئ عامة، وتقعيد القواعد لها، وبيان الفروق الفقهية بين الأحكام والفروع، وسبق القاضي عبد الوهاب في هذا المجال في كتابيه "النظائر" و "الفروق" كما سنرى.

٥- الميل إلى تفريع المسائل: ظهر الميل في المدرسة المالكية في العراق إلى تفريع المسائل، وتوليدها مما لم يقع، وهو المعروف بالفقه الفرضي أو الافتراضي أو التقديري، وذلك بالتأثر من بقية المذاهب التي سلكت هذا المنهج.

٦- التوسع في الاستدلال : اتسمت مصنفات علماء المالكية في العراق بطول النفس، والتوسع في الاستدلال، وذكر الأدلة والحجج والتعليل والمناقشة للآراء والأدلة المخالفة.

وتجلت آثار المدرسة العراقية عامة، وكتب القاضي عبد الوهاب خاصة، في الفقه المالكي بشكل عام، وفي المغرب والأندلس بشكل خاص، في الأمور التالية:

١- تتلمذ كثير من فقهاء المالكية في المغرب والأندلس على فقهاء المالكية في بغداد مباشرة بالرحلة إليهم في طلب العلم، أو عند انتقال فقهاء بغداد إلى المغرب، كما حصل مع القاضي عبد الوهاب في خروجه إلى مصر، بالإضافة إلى المكاتب بين فقهاء المشرق والمغرب، والإجازة بينهم.

٢- اشترك فقهاء المالكية بالعراق في شرح أمهات كتب المذهب المالكي ومختصرته، ودواوينه، وكتبه المشهورة، أو اختصارها، وهو ما فعله القاضي عبد الوهاب في شرح رسالة ابن أبي زيد، واختصار مدونة سحنون .

٣- اعتماد كتب مالكية العراق الفقهية والأصولية والحديثية والخلافية كمصادر للتصنيف في مختلف المدن الإسلامية كدمشق، والقاهرة، والقيروان، والمغرب الأقصى، والأندلس، ومنها كتب القاضي عبد الوهاب.

٤- اعتماد الاختيارات والآراء والترجيحات والروايات التي ذكرها فقهاء المالكية في العراق عند علماء المغرب والأندلس، ومنها آراء وأقوال القاضي عبد الوهاب^(١).

(١) ظهر ذلك واضحاً في تأثير القاضي عبد الوهاب على مدرسة الأندلس ممثلة في زعيمها أبي الوليد الباجي (٤٧٤هـ) وكتابه المنتقى الذي تتردد على صفحاته آراء القاضي عبد الوهاب معزوة إلى كتبه: التلقين، والإشراف، والمعونة. وربما مال الباجي في بعض القضايا إلى ترجيح رأي القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأضاف الدكتور محمد إبراهيم علي فقال: " وكذا فكتبه تعتبر جسراً يربط بين آراء الفرع المالكي العراقي، وترجيحات الفرع المصري القبرواني، وكان للاهتمام الذي أولاه لكتب عميد المدرسة القبروانية ابن أبي زيد في شرحه على الرسالة والمختصر قدر كبير من العرفان لدى علماء المدرسة القبروانية ، ظهر واضحاً في ترحيبهم وتقديرهم لكتب القاضي عبد الوهاب وآرائه تقديراً كان

سرد مؤلفات القاضي عبد الوهاب:

جاءت مؤلفات القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى متنوعة في مختلف العلوم الشرعية، كما سنرى، وبعضها مكرر بعنوانين متقاربة، وقليل منها طبع ونشر، وكان بعضها كاملاً، وبعضها لم يتم، وبعضها ثبتت نسبته إليه، وبعضها معزى إلى اسمه مع أنشك في صحة نسبته، ونسردها بالترتيب الألفبائي، ثم نصنفها حسب العلوم ونعطي لمحة موجزة عن كل منها، وهي:

- ١- اختصار عيون الأدلة لشيخه ابن القصار.
- ٢- الأدلة في مسائل الخلاف، أو أوائل الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الملة.
- ٣- الإشراف على مسائل الخلاف، أو على نكت مسائل الخلاف.
- ٤- الإفادة في أصول الفقه.
- ٥- أوائل الأدلة في مسائل الخلاف، أو مسائل الخلاف بين فقهاء الملة.
- ٦- التلخيص في أصول الفقه، وهو الملخص.
- ٧- التلقين، أو تلقين المبتدى وتذكرة المنتهي (في الفقه المالكي).
- ٨- تقييد على الأحكام الخمسة.
- ٩- الجوهرية في المذاهب العشرة .
- ١٠- الرد على المزني.
- ١١- شرح الرسالة، وهو المعرفة في شرح الرسالة.
- ١٢- شرح التلقين ، واسمه المعين.
- ١٣- شرح فصول الأحكام، وبيان ما مضى به العمل عند الفقهاء والحكام.
- ١٤- شرح المدونة، لم يتم.
- ١٥- عيون المجالس في فقه مختلف المذاهب.
- ١٦- عيون المسائل في الفقه.
- ١٧- غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة.

من مظاهر النقل من كتبه ، والاستدلال بتوجيهاته ، والأخذ بترجيحاته، "اصطلاح المذهب ص ٢٧١، وانظر المدرسة العراقية، صلاحين ص ١١-١٢.

- ١٨- الفروق في مسائل الفقه.
 - ١٩- مؤلف في العقيدة ، ولعله مقدمه عقديّة لأحد كتبه.
 - ٢٠- المروزي في الأصول.
 - ٢١- مسائل الخلاف بين فقهاء الملة، ولعله أوائل الأدلة في مسائل الخلاف، أو الأدلة في مسائل الخلاف.
 - ٢٢- مسلك الجلالة في مسند الرسالة، وهو شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.
 - ٢٣- المعرفة في شرح الرسالة، وهي المشهورة بعنوان شرح الرسالة^(١).
 - ٢٤- المعين ، وهو شرح التلقين، لم يتمه.
 - ٢٥- المفاهر (في أصول الفقه).
 - ٢٦- المعونة، أو المعونة لدرس مذهب عالم المدينة.
 - ٢٧- الملخص في أصول الفقه ، وهو التلخيص.
 - ٢٨- الممهد في شرح مختصر الشيخ أبي محمد، وصل إلى نصفه.
 - ٢٩- النصرة لمذهب إمام دار الهجرة.
 - ٣٠- النظائر في الفقه المالكي، وفي نسبته للقاضي عبد الوهاب شك.
 - ٣١- الواضحة في تفسير الفاتحة.
- وسوف نعرض بإيجاز لأهم هذه الكتب في دراسة القاضي عبد الوهاب فقيهاً، وأصولياً، ومحدثاً، وأديباً وعالماً.
- القاضي عبد الوهاب فقيهاً:**

اتفق العلماء على وصف القاضي عبد الوهاب بالفقيه، فقد درس الفقه في الصغر، ومارسه في الكبر، وصنّف فيه، وصار أحد أئمة المالكية، وانتهت إليه رئاسة المذهب، وأصبحت آراؤه معتبرة عند علماء المذهب المالكي.

(١) فوات الوفيات ٤٥/٢.

وصفه تلميذه الخطيب البغدادي فقال: " الفقيه المالكي.. لم نلق من المالكيين أفقه منه" (١).

وقال تلميذه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى : " وله كتب كثيرة في كل فن في الفقه" (٢).

وقال عنه ابن كثير رحمه الله تعالى: " أحد أئمة المالكية ومصنفهم" (٣).
وقال السيوطي رحمه الله تعالى : " أحد الأعلام، وأحد أئمة المالكية المجتهدين في المذهب، له أقوال وترجيحات وانتهت إليه رئاسة المذهب" (٤).
وقال الكتبي : " كان شيخ المالكية في عصره وعالمهم" (٥).
وقال القاضي عياض: " وألف في المذهب والخلاف والأصول تواليف بديعة مفيدة" (٦).

درس القاضي عبد الوهاب الفقه الإسلامي، وتعمق فيه، وصنف فيه المصنفات الكثيرة على مختلف المستويات، وتعدد الغايات، وبرز فيه، وأكثر من الاشتغال به علماً وعملاً، وتصنيفاً، وتطبيقاً في القضاء، وأثرى المكتبة الفقهية بمؤلفات كثيرة، واستحق ثناء العلماء عليه، فكانت سبباً في شهرته في المذهب المالكي وفي المذاهب الأخرى، حتى سمي الفقيه المالكي، وانتهت إليه رئاسة المالكية في عصره ببغداد والقاهرة ، وانتقل أثره وذكره إلى الشرق والغرب حتى الآن.

(١) تاريخ بغداد ٣١/١١، ونقله عياض في ترتيب المدارك ٦٩١/٢، وابن العماد في شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٢) طبقات الفقهاء ص ١٦٨، ونقله المؤرخ الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٥، وابن عساكر في تبیین كذب المفتری ص ٢٥٠.

(٣) البداية والنهاية ٣٢/١٢ وانظر: الأعلام ٣٣٧/٤.

(٤) حسن المحاضرة ٣١٤/١، وانظر: شذرات الذهب ٢٢٣/٣، المعونة ، مقدمة التحقيق ٣٢/١، المدرسة العراقية ص ٥.

(٥) فوات الوفيات ٤٤/١، وانظر: وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٦) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

واشتغل القاضي عبد الوهاب بعلم الخلاف، وهو ما يعرف اليوم بالفقه المقارن، ويعني بيان آراء المذاهب الفقهية وذكر أدلتهم، ومناقشتها لمعرفة الصحيح منها والضعيف، ثم ترجيح ما يدعمه الدليل، مع التوسع أو الاختصار أو التوسط بحسب منهج الباحث، ونفسه في كتابة علم الخلاف. فألف في الفقه المجرد عن الأدلة كتباً تعتبر كتباً دراسية للمبتدئين، كالتلقين، وألف في الفقه المقترن بالأدلة من الآيات والأحاديث وآثار الصحابة عدة كتب تعد مرجعاً للباحثين والعلماء، وأصحاب المذاهب، فمن ذلك كتابه "الإشراف على مسائل الخلاف"، الذي يبين فيه الحكم الفقهي حسب المذهب المالكي، ثم يعقبه بالأدلة التي تقابل أقوال بقية المذاهب، ومثل ذلك كتابه "المعونة لدرس مذهب عالم المدينة" وكتابه "شرح المدونة" و "شرح الرسالة" فكانت معظم كتبه الفقهية قائمة على الدليل والتعليل^(١).

وخدم الفقه في كل فن منه، فألف في المذهب المالكي خاصة، وفي علم الخلاف، وهو الفقه المقارن مع بقية المذاهب، وفي القواعد الفقهية، وفي الفروق الفقهية، وخص كتباً لنصرة المذهب المالكي الذي قرر أدلته، كالنصرة، والإشراف، وأوائل الأدلة، وغيرها، مما يخدم أيضاً بقية المذاهب، حتى سماه ابن فرحون "ناصرًا للمذهب"^(٢). وتبوأ القاضي عبد الوهاب المكانة التي يستحقها كفاء ماله من الفضل بالجمع والتدليل والاجتهاد والاستنباط ولذلك كثر النقل عنه^(٣). وهذا تعريف موجز لبعض كتبه الفقهية.

١- التلقين: وهو أشهر كتب القاضي عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - على الإطلاق، وأكثرها ذكراً في مؤلفات فقهاء المالكية، وهو أقرب إلى الاختصار منه إلى البسط والشرح، قال الذهبي: "من أجود المختصرات"^(٤)، وقال ابن خلكان "

(١) الاتحاف، مقدمة التخریج ١١/١، ٨٦.

(٢) الديباج ص ١٥٩.

(٣) الاتحاف، مقدمة التخریج ١١/١، ١٨٨، ١١٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٠.

وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة" ^(١)، وهو مختصر في مذهب الإمام مالك، وقال ابن كثير: "يحفظه الطلبة" ^(٢)، فهو فقه مذهبي يعرض لأمّهات المسائل بدون أن يتعرض لأدلتها، ويتجنب فيه الإكثار من التفريعات وأقوال المذهب. ^(٣) وبدأ القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في شرح هذا المختصر في كتابه "المعين على شرح التلقين" لكنه لم يتمه ^(٤).

٢- الممهد في شرح مختصر أبي محمد : شرح فيه القاضي عبد الوهاب - رحمه الله - مختصر ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ) الذي اختصر فيه مدونة سحنون (عبد السلام بن سعيد التنوخي ٢٤٠هـ)، ووصل فيه عبد الوهاب إلى نحو نصفه، وأطال فيه النفس، وكان الراعي الأندلسي شمس الدين محمد بن محمد ينقل في كتابه "انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك" ^(٥)، صفحات كثيرة من "الممهد" ويقول انتهى مختصراً من الممهد، وسماه القاضي عياض المهدي، ولعله تصحيف ^(٦).

٤- شرح المدونة : المدونة منسوبة للإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى (١٧٩هـ) رواها عنه عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون (٢٤٠هـ) وتجمع آراء الإمام مالك المروية عنه والمخرجة على أصوله، وعلى آراء بعض

(١) وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٢) البداية والنهاية ٣٢/١٢.

(٣) حقق كتاب التلقين الدكتور محمد ثالث سعيد الغاني في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه سنة ١٤٠٥هـ/١٤٠٦هـ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

انظر: اصطلاح المذهب ص ٢٧٣، المدرسة العراقية ص ٦، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٠/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٤) اصطلاح المذهب ص ٢٧٥، الديباج ص ١٦٠، المعونة، مقدمة التحقيق ٤١/١، وتوجد من كتاب "المعين على التلقين" نسخة مخطوطة في خزانة القرويين برقم ٣٥٥، انظر: المدرسة العراقية ص ٦.

(٥) هذا الكتاب حققه الدكتور محمد أبو الألفان، وطبع في بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٩٨١ م.

(٦) يوجد نسخة من الجزء الخامس من الممهد في مكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٤٨ فقه مالكي، انظر: المدرسة العراقية ص ٧، شجرة النور الزكية ص ١٠٤، الديباج المذهب ص ١٥٩، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة، مقدمة التحقيق ٤١/١.

أصحابه، وأصبحت أصل الفقه المالكي، ومقدمة على غيرها، وهي في الدرجة الثانية بعد "الموطأ للإمام مالك" وقد اعتنى العلماء بالمدونة دراسة وتدریساً، واختصاراً وشرحاً وتعليقاً، وأهم تلخيص لها مختصر أبي محمد بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦ هـ) السابق ذكره. وشرحها كثير من العلماء ، وبدأ القاضي عبد الوهاب بشرحها ، لكنه لم يتم الشرح^(١).

٤- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: وهو شرح مسهب، يقع في نحو ألف ورقة، ويوجد منه جزء مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم ٦٢٥ ف. وكان هذا الكتاب مفتاح شهرة القاضي عبد الوهاب في مصر والقيروان وشمال المغرب والأندلس، لما للرسالة من تقدير عظيم عندهم، فنال القاضي عبد الوهاب الحظوة بسبب هذا الشرح بمصر، ويقال بأنه أول شرح للرسالة وسماها "مسلك الجلالة في مسند الرسالة" أو "المعرفة في شرح الرسالة". وبلغ من إعجاب المالكية بهذا الشرح أن أول نسخة منه بيعت بمائة مثقال ذهباً، وهو ثمن ضخم لكتاب^(٢). ولكن يتبين لنا أهمية هذا الشرح وكونه سبباً في شهرة القاضي عبد الوهاب نعطي لمحة موجزة عن أصله "الرسالة".

٥- الرسالة ، لابن أبي زيد القيرواني : وهو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفري ، أبو محمد القيرواني ، المشهور بابن أبي زيد المولود بالقيروان (٣١٠هـ — ٩٢٢م) والمتوفى فيها (٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، الفقيه المالكي، الحافظ ، الحجة، النظار من أعيان القيروان، يُسمى مالك الصغير، ويلقب بقطب المذهب، وهو جامع مذهب مالك وشرح أقواله، ولخص المذهب ونشره، ويعد إمام المالكية في عصره، وتنوعت مؤلفاته، ووصلت إلى الأربعين، أشهرها الرسالة، ومختصر المدونة ، والذب عن مذهب مالك، والافتداء بأهل المدينة وغيرها، وطبع كثير منها، وشرح القاضي عبد الوهاب الأول والثاني. ويعتبر ابن أبي زيد أحد

(١) انظر: ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة ، مقدمة التحقيق ٤١/١، مرجع العلوم الإسلامية للباحث ،

ص ٥٠٠ ، الديباج ص ١٦٠.

(٢) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، اصطلاح المذهب ص ٢٧٤، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٢/١، المدرسة

العراقية ص ٦، الديباج ص ١٥٩.

الشيخين في المذهب مع أبي بكر الأبهري، فخدم المذهب، وضبط ما تناثر من المصادر لأقوال الإمام مالك^(١).

والرسالة أكثر كتب ابن أبي زيد انتشاراً، وزادت شروحها عن مائة شرح، وهي أعظم كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ والمدونة، واحتوت على أربعة آلاف مسألة مأخوذة من أربعة آلاف حديث، وموضوعها "جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة"، وما يتصل بالواجب والسنن والنوافل والآداب، وأمّهات المسائل، في مذهب الإمام مالك، وغرضها تعليم الولدان كما يتعلمون حروف القرآن، لفهم دين الله وشرائعه رجاء البركة، وحمد العاقبة^(٢).

٦- المعونة لدرس مذهب عالم المدينة: ويأتي العنوان مختصراً "المعونة على مذهب عالم المدينة"، وصنف القاضي عبد الوهاب الكتابين السابقين "الممهد" و "شرح الرسالة" فبسط فيهما الأدلة، وأشبع الكلام في مسائل الخلاف، وأطال في المسائل والتفريعات واختلاف الوجوه والروايات، فطلب منه تلامذته اختصار ذلك فأجابهم، وألف كتاب "المعونة" ليكون مدخلاً للكتابيين، مع التدليل والتوجيه والتعليل الموجز لتصبح المعونة دعامة الفقه المالكي، والمرجع في المذهب لجمعها مسائل الفقه وأدلتها، وقد أبدع القاضي عبد الوهاب في منهج الكتاب فذكر الفقه محرراً مجملاً في أول الباب، ثم أتبعه فصلاً لتوضيح المجل، مع الإشارة للدليل، وذكر المخالف والاحتجاج عليه، فهو ديوان فقه قيم فكان أثره عظيماً فيما بعد، فلا يخلو كتاب في الفقه المالكي من ذكره والنقل عنه، وهو في الفقه المالكي المقارن مع سائر المذاهب الأربعة^(٣).

(١) ترتيب المدارك ٤٩٢/٢، الديباج المذهب ص ١٣٦، شجرة النور الزكية ص ٩٦، شذرات الذهب ٣/

١٣١ الأعلام ٢٣٠/٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٦، طبقات الفقهاء ص ١٦٠.

(٢) ترتيب المدارك ٤٩٤/٢، الديباج المذهب ص ١٣٩، اصطلاح المذهب ص ٢٣٩، وما بعدها، ٢٤٣- ٢٤٦، المدرسة العراقية ص ٣.

(٣) حقق المعونة الدكتور عبد الحق حميش للحصول على شهادة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وطبعت عدة مرات في ثلاثة أجزاء مع مقدمة التحقيق، منها طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، وانظر: ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، وفيات الأعيان ٣٨٧/٢، المعونة، مقدمة التحقيق والدراسة ٨٩-٥٣/١، الديباج المذهب ص ١٥٩.

٧- الإشراف على نكت مسائل الخلاف : وطبع في تونس بعنوان " الإشراف على مسائل الخلاف" ^(١)، وهو من الكتب التي يهتم به الفقهاء في المغرب، واختلف منهج القاضي عبد الوهاب فيه عن منهجه في "المعونة" وفي "التلقين" فكان طابع الإسهاب والتفصيل في "المعونة" فيما جاء "الإشراف" لتحرير المسائل التي يجري فيها الخلاف بين المذاهب، مع ذكر رأي المالكية دون تعرض للأقوال المختلفة في المذهب، ثم يعقب ذلك بأراء من خالف المالكية، وأساس المخالفة، ثم يعرض أدلة المالكية من النص والقياس والاستنباط، مع الاختصار المركز دون إخلال بالفحوى والمقصود، واطلعت عليه ورأيت أنه يذكر الرأي الفقهي ثم يشير إلى القول المخالف لأحد المذاهب الأربعة، وكأنه يوحي أن الرأي الأول قاله المالكية وسائر المذاهب الذين لم يشر إليهم في المخالفة، فهو كتاب في الفقه المقارن، كما رأيت أنه ينسب أحياناً إلى القول غير المعتمد في المذهب الشافعي وغيره ^(٢).

٧- النصر لمذهب إمام دار الهجرة: وهو من أعظم ما ألفه القاضي عبد الوهاب لبيان ترجيح مذهب الإمام مالك وتفضيله على غيره، ويقع في مائة جزء، ويقال إن الكتاب بخط المؤلف وقع بيد بعض قضاة الشافعية فألقاه في النيل، ولا يوجد له أثر الآن ^(٣).

٨- عيون المسائل أو عيون المجالس وفقه مختلف المذاهب: وهو في الفقه، كما ذكر ابن فرحون، ويوجد كتاب آخر للقاضي عبد الوهاب في فهرس

(١) الكتاب مطبوع بتونس/ في جزأين كبيرين ، مطبعة الإرادة ، ثم قام الدكتور عبد الصمد الطاهر صالح فخرَج الأحاديث ، وقَدَّم دراسة للكتاب، وطبع في أربعة مجلدات، ونشرته دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، بدبي- ط١- سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م بعنوان " الإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف على مسائل الخلاف".

(٢) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الديباج المذهب ص ١٦٠، اصطلاح المذهب، ص ٢٧٣-٢٧٤، المدرسة العراقية ص ٧، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٤/١، الإتحاف، مقدمة التخرِج ١٥/١ وما بعدها.

(٣) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، شجرة النور ، ص ١٠٤، اصطلاح المذهب ، ص ٢٧٥، المعونة ، مقدمة التحقيق ٤١/١، الديباج ص ١٥٩.

مخطوطات خزانة القرويين (٢٤٩/٣) بعنوان "عيون المجالس" برقم ١١٤٣، ولعله عيون المسائل^(١).

٩- الأدلة في مسائل الخلاف: أو هو أوائل الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الملة، وليس له أثر موجود^(٢) ولعله هو مسائل الخلاف بين فقهاء الملة، وهو في علم الخلاف.

١٠- شرح فصول الأحكام وبيان ما مضى به العمل عند الفقهاء والحكام: وهذا العنوان يوحي بأنه في أحكام القضاء والحكام، وكان كثير من القضاة يؤلفون في هذا المجال، ويستفيدون من علمهم وخبرتهم العملية، وعبد الوهاب منهم^(٣).

١١- اختصار عيون الأدلة: وهو اختصار لكتاب "عيون الأدلة" لشيخه القاضي ابن القصار، ويوجد نسخة من الجزء الخامس الأخير في خزانة القرويين برقم (٢٩١/٨٠) من كتاب الظهار إلى كتاب الوصايا، أو برقم (١١٦٦)، وهو كتاب في مسائل الخلاف^(٤).

١٢- تقييد على الأحكام الخمسة: وهو بحث في ثلاث ورقات ضمن مجموع (ص ٢٤٦-٢٤٨) في خزانة تطوان برقم ٨٢٦^(٥).

١٣- الجوهرة في المذاهب العشرة: ذكره بعضهم في كتب القاضي عبد الوهاب^(٦).

(١) الديباج ص ١٦٠، ترتيب المدرك ٦٩٢/٢ لمعونة، مقدمة لتحقيق ٤٢/١، واعتبر الدكتور محمد إبراهيم علي هذا الكتاب

منسوباً للقاضي عبد الوهاب مع أن ابن فرحون عدّه في كتبه (اصطلاح لمذهب ص ٢٧٥-٢٧٦، الديباج ص ١٦٠)

(٢) ترتيب المدرك ٦٩٢/٢، الديباج ص ١٥٩، ١٦٠ وعدّها ابن فرحون كتابين له.

(٣) يوجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين (٣٨٢/١) وتوجد نسخة أخرى بمكتبة الملك عبد العزيز

بجدة، برقم ١١٠ فقه مالكي، انظر: الأعلام ٣١٥/٤، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٤/١، المدرسة

العراقية ص ٦.

(٤) اصطلاح المذهب ص ٢٧٥-٢٧٦، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٣/١.

(٥) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٧/١.

(٦) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١ عن هدية العارفين ٦٣٧/١.

١٤- الرد على المزني: المزني هو إسماعيل بن يحيى، أبو إبراهيم (٢٦٤ هـ / ٨٧٨) الفقيه المجتهد المحدث، صاحب الإمام الشافعي وأخص تلامذته، له كتب كثيرة كالجامع الكبير، والجامع الصغير، وأهمها مختصر المزني (الأم للشافعي)^(١)، وصنّف القاضي عبد الوهاب كتاباً في الرد على آرائه، فهو فقه مقارن إلى حد ما^(٢).

كتب القواعد الفقهية والفروق:

يتصل بالكتب الفقهية وعلم الخلاف (الفقه المقارن) والمجال الفقهي للقاضي عبد الوهاب ما صنّفه في القواعد الفقهية، والفروق، وهي:

١- الفروق (البروق) في مسائل الفقه:

وهو أول كتاب للمالكية في فن الفروق الفقهية^(٣). ثم جاء الكتاب القيم المشهور "الفروق" للقرافي (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)^(٤).

٢- النظائر في الفقه:

وهو منسوب للقاضي عبد الوهاب، وإن ثبتت نسبته له فهو أول كتاب للمالكية في علم القواعد الفقهية، ويوجد منه نسخة في فهرس مخطوطات خزانة القرويين، محمد العابد الفارسي رقم (٢/٣٨٢) (٣٧٦/١)^(٥).

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩٣/٢، طبقات الفقهاء ص ٩٧، تهذيب الأسماء ٢/٢٨٥، وفيات الأعيان ١/ ١٩٦، الفتح المبين ١/١٥٦، الانتقاء ص ١١٠، الأعلام ١/٣٢٧، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤١٩.

(٢) ترتيب المدارك ٢/٦٩٢، وصنّف عدد من علماء المالكية كتباً بهذا العنوان " الرد على المزني" منهم بكر بن محمد بن العلاء القشيري المالكي (٣٤٤هـ) والقاضي أبو بكر الأبهري (٣٧٥هـ) وهو شيخ القاضي عبد الوهاب، انظر: اصطلاح المذهب ص ٢٢٧، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٤٥، سير أعلام النبلاء ١٥/٥٣٧، حسن المحاضرة ١/٤٥٠، شجرة النور ص ٧٩.

(٣) الديباج المذهب ص ١٦٠، شجرة النور، ص ١٠٤، اصطلاح المذهب ص ٢٧٥، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٤٥.

(٤) انظر ترجمة القرافي، والتعريف بكتابه في (مرجع العلوم الإسلامية، للباحث ص ٥٠٢، ٥٩٠ والمراجع المشار إليها).

(٥) اصطلاح المذهب ص ٢٧٥-٢٧٦، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٤٣، المدرسة العراقية ص ٨، وانظر ما جاء في التعريف بالأشباه والنظائر للسيوطي، والأشباه والنظائر لابن نجيم في (مرجع العلوم

القاضي عبد الوهاب أصولياً :

إن أصول الفقه هو المنارة الوضاعة بين العلوم الشرعية، وهو عبارة عن القواعد والمبادئ التي سار عليها الفقهاء في استنباط أحكام الفقه، ويشتمل على الضوابط التي يلتزم بها الفقيه المجتهد، ليكون منهجه في الاجتهاد مستقيماً واضحاً يوصل إلى الهدف المقصود من الاستنباط والاجتهاد، وذكر ابن خلدون أهميته فقال: " اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية، وأجلها قدراً، وأكثرها فائدة " ثم عرفه فقال: " وهو في الأدلة الشرعية (مصادر الشريعة) حيث تؤخذ منها الأحكام"^(١).

فعلم أصول الفقه يرسم طريق الاجتهاد، وهو عون المجتهد في استنباط الأحكام الشرعية، ولذلك يتعلق بشكل رئيسي بالمجتهد، وقد وصف كثير من العلماء القاضي عبد الوهاب بالمجتهد كما سبق، فمن ذلك ما قاله السيوطي عنه " وأحد أئمة المالكية المجتهدين في المذهب له أقوال وترجيحات"^(٢)، فكانت صلته بعلم أصول الفقه قوية ومتينة ومباشرة.

درس القاضي عبد الوهاب الأصول على إمام هذا الفن في عصره، وهو القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) وعلى غيره من الشيوخ، وقال القاضي عبد الوهاب: "والذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب"^(٣).

وبرز القاضي عبد الوهاب في أصول الفقه، واشتغل به عملياً في الاجتهاد، فكانت له الأقوال والآراء في المذهب المالكي وله الترجيحات بين الأقوال، وجاء ذلك مبثوثاً في كتبه الفقهية، ومارس القاضي عبد الوهاب العمل في أصول الفقه

الإسلامية ص ٥٢٦، ٤٩٣، القواعد الفقهية على المذهبين الحنفي والشافعي، للباحث ص ١٣ وما بعدها).

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٢، وانظر: مرجع العلوم الإسلامية ص ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٧.

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٣١٤.

(٣) الديباج ص ١٥٩.

نظرياً فصنّف فيه الكتب، وأثرى المكتبة الأصولية بمؤلفات كثيرة، كانت مرجعاً لمن جاء بعده في الاستفادة العملية، والنقل نظرياً في كتبهم^(١)، فمن ذلك :

- ١ - الإفادة : في أصول الفقه، وكثيراً ما ينقل عنه القرافي في كتابه في الأصول "شرح تنقيح الفصول" المنشور والمطبوع^(٢).
- ٢ - التلخيص : في أصول الفقه ، ويطلق عليه أحياناً "الملخص"^(٣).
- ٣ - المفاهر : في أصول الفقه ، واعتمد عليه الزركشي الأصولي الفقيه الشافعي (٧٩٤هـ — ١٣٩٢م) في كتابه القيم الباهر "البحر المحيط" المطبوع اليوم في الكويت.
- ولعلّ كتاب المفاهر هو نفسه كتاب "الأجوبة الفاخرة في أصول الفقه"^(٤).
- ٤ - المقدمات: في أصول الفقه ، ولم يرد ذكر هذا الكتاب في ترجمة القاضي عبد الوهاب ، وإنما ذكره السيوطي واعتمد عليه في كتابه الممتع في الاجتهاد "الرد على من أخذ إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"^(٥).
- ٥ - المروزي في الأصول: ولعلّه كتاب في أصول الفقه، ولم يعثر له على أثر^(٦).

اشتغال القاضي عبد الوهاب بالحديث:

لم يكن القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى محدثاً، مع أنه اشتغل بالحديث سماعاً وتحديثاً، فسمع الحديث من عدد كبير من المحدثين، لكن غلبت عليه النزعة الفقهية، فسمع من أبي بكر الأبهري، وحدث عنه وأجازه، وسمع أيضاً من أبيه عن أبي ثابت الصيدلاني، وابن عمر بن السمّك، وأبي خالد النصيبي والقاضي أبي

(١) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الاتحاف، مقدمة التخرّيج ١١٧/١.

(٢) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الديباج ص ١٦٠، المدرسة العراقية ص ٧، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، وانظر: التعريف بكتاب القرافي وترجمته في (مرجع العلوم الإسلامية ص ٥٩٠، ٦٢٤)

(٣) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الديباج ص ١٦٠.

(٤) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، المدرسة العراقية ص ٨.

(٥) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٦) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الاتحاف، مقدمة التخرّيج ١٢٥/١ وما بعدها.

محمد بن زرقونة، وأبي عمر الهاشمي ، وأبي سعيد الكرخي، والمخلص، وأبي الحسن بن أبي الصلت، والمجد، وابن نافع، ومحمد بن أحمد للصيد، وأبي علي بن شاذان، وسمع أبا عبد الله العسكري، وأبا حفص بن شاهين، وغيرهم.

وسمع منه الحديث جماعة، منهم عبد الحق بن هارون الفقيه، وأبو عبد الله المازري البغدادي، وأبو بكر الخطيب البغدادي الذي قال عنه " وحدث بشيء يسير، كتبت عنه، وكان ثقة" ^(١). وحدث في بغداد، وفي دمشق كما ذكره ابن عساكر ^(٢)، وحدث عنه من أهل الأندلس جماعة، منهم ابن شَمَاح الغافقي، ومهدي بن يوسف صاحبه، حتى اعتبر القاضي عبد الوهاب من محدثي الفقهاء، وهو ما ظهر في كتبه الفقهية واعتماده على الأحاديث عند سوقها ، أكثر من اهتمامه بضبط ألفاظها، شأن كثير من الفقهاء ^(٣).

القاضي عبد الوهاب أديباً وشاعراً:

كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله رقيق المشاعر، واهتم بالأدب، وقرض الشعر، وصفه تلميذه الشيرازي رحمه الله تعالى فقال: " وكان فقيهاً أديباً شاعراً" ^(٤). وقال ابن خلكان رحمه الله: " كان فقيهاً أديباً شاعراً" ^(٥)، وقال ابن كثير رحمه الله : " له أشعار رائعة" ^(٦)، وقال ابن فرحون رحمه الله : " وله شعر حسن " ^(٧)، وأثنى عليه أبو العلاء المعري رحمه الله عندما زاره في معرة النعمان ونزل

(١) تاريخ بغداد ٣١/١١، ونقله عنه ابن عساكر (مختصر تاريخ دمشق ٢٨٤/١٥) وأكد ذلك ابن فرحون (الديباج ص ١٥٩).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٣) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢-٦٩٣، تبين كذب المفترى ص ٢٥٠، الاتحاف، مقدمة التخریج ١١٥/١-١١٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٤) طبقات الفقهاء ص ١٦٨.

(٥) وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٦) البداية والنهاية ٣٣/١٢، وانظر العبارة في وفيات الأعيان ٣٨٨/٢، شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٧) الديباج المذهب ص ١٦٠، وذكر بعض أشعاره، وذكر القاضي عياض نتقاً منها (ترتيب المدارك ٢/٦٩٤-٦٩٣).

عليه ضيفاً، فأعجب بفقّهه وأدبه وشعره، وقال ابن بسّام عنه: "وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح، وألفاظه أحلى من الظفر بالنجح"^(١).

وظهر أثر أدبه في دروسه، وفي كتبه وعباراته، لذلك قال عنه تلميذه الخطيب البغدادي رحمه الله: "وكان حسن النظر، جيد العبارة"^(٢).

ونقلت كتب التراجم بعض أشعاره، ويبدو أنه لم يجمع شعره في كتاب، لأنه كان على منهج شعر الفقهاء، وليس شعر الشعراء والأدباء، وجاء شعره مبعوثاً في ثنايا كتبه^(٣).

القاضي عبد الوهاب وسائر العلوم:

وأخيراً: فقد ذكرت بعض كتب التراجم مساهمة القاضي عبد الوهاب المتواضعة في التفسير، وأنه صنّف "الواضحة في تفسير الفاتحة" كما ذكرت له المساهمة في المناظرة والجدل، وأنه صنّف فيه "غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة"^(٤)، وله مساهمة بسيطة في العقيدة، وله "مؤلف في العقيدة" ولعله مقدمة لأحد كتبه^(٥).

(١) شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٢) تاريخ بغداد ٣١/١١.

(٣) الاتحاف، مقدمة التخرّيج ١٢٠/١.

(٤) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بمدرّيد بأسبانيا رقم ٦٠، انظر "الأعلام ٣٣٥/٤"، وذكرها

بروكلمان في الملحق ١/٦٦٠.

(٥) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٧/١.

الخاتمة

خلاصة البحث والتوصيات

بعد هذه الجولة اللطيفة في سيرة القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وبعد الأس بأخباره الطريفة، وآثاره العلمية، نلخص ماييلي:

- ١- إن ذكر السلف الصالح ، والعلماء الأفاضل من القيم الإسلامية الأصيلة، للتعرف عليهم، والاستفادة من علمهم، والاستنارة بمنهجهم، والدعاء لهم.
- ٢- البيئة لها تأثير كبير على الإنسان، فهو ابن عصره ولو في بعض أطرافه، وكان عصر القاضي عبد الوهاب في القرنين الرابع والخامس الهجريين متفاوتاً متفاوتاً كبيراً في جوانبه، فالناحية السياسية شبه متردية، والناحية الاجتماعية متوسطة ومتفاوتة حسب طبقات المجتمع، والناحية العلمية والثقافية والحضارية متألفة في عصرها الذهبي.
- ٣- ولد القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي في بغداد سنة ٣٦٢هـ في أسرة علمية مرموقة، ونشأ في طلب العلم وتحصيله في بغداد، ورحل قليلاً إلى بعض المدن، وأدى فريضة الحج، ولقي علماء الحرمين، وأخذ عن شيوخ كثير، وخاصة في بغداد موئل العلم والعلماء، ومركز الثقافة والفكر والحضارة والعلم، وخاصة عن الأبهري، وابن القصار، وابن الجلاب والقاضي الباقلاني.
- ٤- اشتغل القاضي عبد الوهاب بالتعليم والتدريس، والتأليف والتصنيف، والحكم والقضاء.
- ٥- خرج القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى من بغداد لضيق الحال إلى الشام، واستقر بمصر، وتولى القضاء فيها فترة وجيزة حتى مات.

- ٦- ترك القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى تلاميذ كثيراً، منهم النجباء كالخطيب البغدادي، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأبي الفضل الدمشقي، وابن عمرو المالك، وحدث عنه كثير.
- ٧- اتصف القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بالكرم والسخاء، والصبر والعفة، والشجاعة، وكان عابداً زاهداً متأدياً ثقة ، كثير الحفظ، حسن النظر، جيد العبارة.
- ٨- توفي القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بمصر سنة ٤٢٢ هـ ، وعمره ستون سنة، ودفن بالقرافة الصغرى قرب مقام الإمام الشافعي، وابن القاسم المالك، وأشهب رحمهم الله تعالى.
- ٩- تألفت سيرة القاضي عبد الوهاب العلمية، وبلغت الذروة ، فكان إماماً علامة ، وصار شيخ المالكية في عصره ، وأحد أركان المدرسة العراقية في المذهب المالكي التي امتازت بمميزات فريدة، وأثرت على سائر مدارس المذهب المالكي.
- ١٠- جمع القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين أهم علوم الشريعة، وصنف فيها، وترك آثاراً خالدة تشهد على غزارة علمه وفضله ، لكن بقيت معظم كتبه مخطوطة لم ترَ النور، وطبع القليل منها.
- ١١- تفوق القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في فنون علم الفقه، فكان إماماً في فقه المذهب المالكي، وصنف فيه عدة كتب كالتلفين وشرحه، وشرح المدونة، وشرح رسالة ابن أبي زيد، وبرز واشتهر في علم الخلاف (الفقه المقارن بين المذاهب الفقهية) وكانت معظم كتبه فيه كالممهد، والإشراف، وعيون المسائل، والأدلة في مسائل الخلاف، والجوهرية، ودافع بحماس عن المذهب المالكي، وصنف فيه عدة كتب كالنصرة لمذهب إمام دار الهجرة، والرد على المزني، ثم شارك في علم القواعد والفروق، وصنف كتابين هما : الفروق، والنظائر في الفقه إن صحت نسبتها إليه.

١٢- كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجتهداً في المذهب، فدرس علم أصول الفقه، وأتقنه، ومارسه عملياً في التطبيق والاجتهاد، وصنّف فيه عدة كتب، كالإفادة والتلخيص والمفاخر، والمقدمات، والمروزي في الأصول.

١٣- اشتغل القاضي عبد الوهاب بالحديث الشريف، وسمعه عن جلة العلماء المحدثين، ثم حدث، وروى عنه عدد كبير، لكن غلبت عليه النزعة الفقهية، فلم يصنّف في الحديث، ومع ذلك استفاد من هذا العلم ومارسه عملياً في كتبه الفقهية بذكر أحاديث الأحكام ودراساتها دراسة واستنباطاً، فهو من محدثي الفقهاء.

١٤- كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى أديباً، وشاعراً، ورقيق الحس، وله شعر حسن على منهج شعر الفقهاء، وكان جيد العبارة، وفي أسلوبه طلاوة، ووضوح، ومتعة، وجمال، وترك بعض الأشعار المبنوثة في الكتب.

١٥- شارك القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في التفسير، وصنّف فيه " الواضحة في تفسير الفاتحة " واشتغل في علم الجدل والمناظرة، وصنّف فيه " غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة " وساهم مساهمة بسيطة في علم العقيدة، وله " مؤلف في العقيدة ".

رحم الله القاضي عبد الوهاب، وجزاه الله خيراً، ونفع بعلمه، وأنزل عليه شأبيب رحمته، وعوّض المسلمين عنه خيراً.

وبعد :

فإني أقدم في نهاية هذا البحث التوصيات التالية:

١- الاستمرار على هذه السّنة الحميدة في إحياء ذكرى العلماء الأعلام والاحتفاء بهم، وذلك لكشف اللثام عنهم والتذكير بمآثرهم الخالدة. وتسليط الضوء على إنتاجهم وفكرهم وتراثهم.

٢- العمل على نشر كتب القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى، والتي لا يزال معظمها مخطوطاً ينتظر اليد الحانية والقلب الواعي، والعقل المستنير،

ليخرجها من الخزانات والأقبية المظلمة، ومن الرفوف التي يتراكم عليها الغبار، وتهدها الأكلة وعوادي الزمان.

٣- نوصي بالعمل على تحقيق كتب القاضي عبد الوهاب، ووضع خطة مدروسة، ومنهج سديد لذلك، مع حث الجهات الرسمية، والمؤسسات على تبني تحقيق هذه الكتب ونشرها .

٤- إحياء منهج علم الخلاف، المعروف اليوم بالفقه المقارن، للاستفادة من مختلف المذاهب الفقهية في النهضة الإسلامية المرتقبة، والصحة المتواضعة في مجال التشريع الإسلامي، وإثراء المستجدات المعاصرة بالأحكام الشرعية السديدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ورحم الله العلماء العاملين، ومن لزم نهجهم إلى يوم الدين.



أهم مصادر البحث ومراجعته

- ١- الاتحاف بتخريج أحاديث الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي (٤٢٢هـ) تخريج ودراسة الدكتور بدوي عبد الصمد الطاهر صالح، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي - ط١ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٢- اصطلاح المذهب عند المالكية ، الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم علي، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي - ط١ - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٣- الأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ / ١٩٧٠م) الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، دون دار نشر.
- ٤- البداية والنهاية، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ) تصوير مكتبة المعارف- بيروت- مكتبة النصر- الرياض- ط١ - ١٩٦٦م.
- ٥- تاريخ بغداد ، الحافظ أحمد بن علي ، أبو بكر الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تصوير دار الفكر - بيروت- عن طبعة ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م.
- ٦- تاريخ قضاة الأندلس ، أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي النباهي(٧٩٣هـ) نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت - د.ت.
- ٧- تبیین كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ) تصوير دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م عن طبعة القدسي.
- ٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) تصوير دار مكتبة الحياة - بيروت ، مكتبة دار الفكر - طرابلس - ليبيا - ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة - ط١ - ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ .
- ١٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المدني المالكي (٧٩٩هـ) طبع عباس بن عبد السلام بن شقرون ، الفحامين - مصر - ط١ - ١٣٥١هـ .
- ١١- سير أعلام النبلاء، مؤرخ الإسلام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف (١٣٥٥هـ) نشر دار الكتاب العربي - بيروت - تصوير بالأوفست عن الطبعة الأولى - ١٣٤٩هـ .

- ١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ). تصوير دار الفكر - بيروت - عن طبعة القدسي - القاهرة - ١٣٥٠هـ.
- ١٤- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي، أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ) نشر دار الرائد العربي - بيروت - ١٩٧٠م.
- ١٥- الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، الشيخ عبد الله مصطفى المراعي، الطبعة الثانية ، تصوير - بيروت - ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ١٦- فوات الوفيات، محمد بن شاکر الکتبی (٧٦٤هـ) نشر مكتبة النهضة المصرية - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٩٥١ م .
- ١٧- القواعد الفقهية في المذهبين الحنفي والشافعي، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي - نشر مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت - ط١ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ١٨- المدرسة العراقية في المذهب المالكي، الدكتور عبد المجيد صلاحين ، بحث في مجلة دراسات - الجامعة الأردنية.
- ١٩- مرجع العلوم الإسلامية، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي - دار المعرفة - دمشق ١٤١١هـ / ١٩٩٩م .
- ٢٠- المعونة على مذهب عالم المدينة ، القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي البغدادي (٤٢٢هـ) تحقيق ودراسة الدكتور عبد الحق حميش ، نشر دار الفكر - بيروت - ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٢١- وفيات الأعيان ، أحمد بن محمد ، المعروف بابن خلكان (٨٦١هـ) طبع مكتبة النهضة المصرية - مط السعادة - مصر - د.ت.

